بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

واضرب لهم مثلا - الحلقة : 16 - وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

10-05-2020

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، نحن مع برنامج جديد عنوانه : "واضرب لهم مثلاً"، يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الحشر : 21]

ويقول أيضاً :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 43]

فضرب المثل منهج قرآني أصيل ، يتبعه القرآن الكريم لإيصال الحقائق إلى الناس .

أخوتي ؛ أخواتي ؛ أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بكل خير في مستهل حلقة جديدة من برنامجنا : "واضرب لهم مثلاً" .

نستضيف بها كالمعتاد فضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم سيدي .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، بارك الله بك ، ونفع بك .

المذيع :

وبكم سيدي أكرمك الله .

سيدي الآية اليوم في سورة إبراهيم ، الآية التي تطلب مثلاً ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

[سورة إبراهيم: 46]

نريد توضيح هذا المكر ، وكيف هو من خلال هذه الآية ؟

الحق يقوى بالتحدي :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الحقيقة الدقيقة أن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود ، ما سواه ممكن الوجود ، أي ممكن أن يكون أو ألا يكون أصلاً ، أو إذا كان على ما هو كائن أو على خلاف ما يكون .

كمناقشة افتراضية : ألم يكن من الممكن أن يكون الكفار في كوكب آخر ؟ طبعاً ممكن ، أو في حقبة أخرى ؟ أو في قارة أخرى ؟ ولكن شاءت حكمة الله أن نكون معاً على أرض واحدة ، وفي زمنٍ واحد ، وفي شروط واحدة .

باجتهادي ؛ الحق يقوى بالتحدي ، أهل الحق لا يدخلون الجنة إلا بالبذل والتضحية ، فهذا قدرنا ، مرة إنسان خاطب جهة قوية قال له : أنت قدرنا ، فالابتلاء قدرنا ، بل هو علة وجودنا ، هو :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾

[سورة الملك :2]

والآية الثانية :

﴿ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنين : 30]

فالبطولة لا أن نبتلى ، بل أن ننجح في الابتلاء .

لذلك هناك فريقان ، مؤمن وكافر، مستقيم ومنحرف ، محسن ومسيء ، صادق وكاذب ، اجتهادي المتواضع ؛ أن يستوي هؤلاء مع هؤلاء ، المحسن مع المسيء ، الصادق مع الكاذب ، الذي يبني مع الذي يخرب ، الذي يعدل مع الذي يضرب ، أن يستوي هؤلاء مع هؤلاء، هذا لا يتناقض مع عدل الله فحسب بل مع وجوده ، لذلك المؤمن واثق بنصر الله ، ولو تأخر، واثق بعفو الله ، ثقة المؤمن بالله أحد أسباب سعادته ، وقلق القوي .

نعمة الأمن لا يتمتع بها إلا المؤمن :

الحقيقة الدقيقة : الله عز وجل حينما قال :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

[سورة الأنعام : 81 - 82]

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

وحدهم .

﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾

[سورة الأنعام : 82]

لفتة بلاغية : لو أن الصياغة أولئك الأمن لهم ، ولغيرهم ، أما :

﴿ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾

[سورة الأنعام : 82]

وحدهم ، هذا اسمه قصر وحصر ، ونحن كتقريب إذا شخص في الصلاة قال : نعبد إياك ، الصلاة باطلة ، فقط غير الترتيب .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

[سورة الفاتحة : 1]

فيها قصر وحصر ، نعبد إياك لا تعني أنا لا نعبد غيرك ، لذلك :

﴿ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾

[سورة الأنعام : 82]

وحدهم ، أي لا يتمتع على وجه الأرض في القارات الخمس من آدم ليوم القيامة بالأمن إلا المؤمن .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾

[سورة الأنعام : 82]

الله عليم بمكر الطرف الآخر و ما يخططون له :

الآن الطرف الآخر :

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا ﴾

[سورة آل عمران : 151]

مهما يكن المشرك قوياً ، متمكناً ، يملك سلاحاً نووياً ، الله عز وجل يعاقبه معاقبة في الدنيا قبل الآخرة ، يلقي في قلبه الخوف .

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا ﴾

[سورة آل عمران : 151]

هذه باء السبب ، معنى ذلك نعمة الأمن لا يتمتع بها إلا المؤمن .

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾

[سورة إبراهيم : 46]

خططوا ، برمجوا ، هيؤوا ، افتعلوا ، كذبوا ، بالغوا ، نافقوا .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾

[سورة إبراهيم : 46]

تصور حاكماً قوياً جداً ، عدد من الضباط عنده خططوا لانقلاب ، وكتبوا : أنت وزير الداخلية ، أنت وزير العدل ، أنت وزير الدفاع ، وهذه الأوراق عند الحاكم .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾

[سورة إبراهيم : 46]

الدكتور بلال :

كل ما يخططون له عند الله بعلمه .

الدكتور راتب :

لكن :

﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾

[سورة إبراهيم : 46]

دقق الآن :

﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

[سورة إبراهيم : 46]

أضرب مثلاً متواضعاً ، جبل قاسيون في دمشق ، هذا تلة .

الدكتور بلال :

جبل صغير جداً .

الدكتور راتب :

لو اجتمع أهل الأرض على إلغائه لا يستطيعون ، الله وصف مكرهم يزيل الجبال ، حالة الإنسان الآن تخور قواه ، بعدها يقول :

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾

[سورة إبراهيم : 47]

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

الفرق بين اللذة و السعادة :

لذلك زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، فالمؤمن يتمتع بنعمة الأمن ، ونعمة السكينة ، ونعمة التوفيق ، ونعمة المساعدة ، أما غير المؤمن فعنده لذة ، واللذة آنية ، واللذة حسية ، تحتاج إلى وقت ، وإلى صحة ، وإلى مال ، والإنسان لحكمة بالغة بالغةٍ بالغة يفقد إحداها دائماً ، في الشباب يوجد صحة ووقت لكن لا يوجد مال ، بالمنتصف يوجد مال وصحة لكن لا يوجد وقت ، بالشيخوخة يوجد مال ووقت لكن لا يوجد صحة ، أما السعادة لمجرد أن ينعقد للمؤمن عند الله اتصال فهو أسعد الناس ، وينبغي أن يقول : ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني .

الدكتور بلال :

إذاً شيخنا :

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾

[سورة إبراهيم : 47]

كما تابعتم الآيات :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾

[سورة إبراهيم : 47]

لم يتأخر أحياناً نصر الله لرسله ولأنبيائه ؟

امتحان الصادق من الكاذب حين يتأخر الجزاء عن العمل :

الدكتور راتب :

لو فرضنا قلنا للناس : ادفع مئة ليرة وخذ ألفاً ، يقف أمامك طابور طوله حوالي خمسين كيلو متراً ، أما حينما يتأخر الجزاء عن العمل فيمتحن الصادق من الكاذب .

﴿ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنين : 30]

وحينما يأتي العقاب عقب المعصية يستقيم الناس لا حباً بالله لكن خوفاً من المعصية ، هذه المسافة التي تطول وتقصر بين الطاعة والثواب ، والمعصية والعقاب ، تؤكد الاختيار .

الدكتور بلال :

وتتسع دائرة الممتحنين .

الدكتور راتب :

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

لأن الله إذا أجبر عباده على الطاعة بطل الثواب ، وإذا أجبرهم على المعصية بطل العقاب ، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة ، إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً .

الدكتور بلال :

سيدي ؛ في موضوع المكر ، في مكر هؤلاء بالمؤمنين يوجد آية أخرى :

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾

[سورة الأنفال : 30]

كيف يمكر الله بأعدائه ؟

مكر الله هو الرد على مكر الأعداء :

الدكتور راتب :

الحقيقة هذا اسمه بالبلاغة : مشاكلة ، الله لا يمكر ، لكن رداً على مكرهم بتدبير سمي مكراً للمشاكلة ، يوجد مثل بالبلاغة مشهور : نطبخ لك طعاماً ، قال : اطبخوا لي جبة وقميصاً ، إنما هي مشاكلة ، وهذه من البلاغة ، والقرآن :

﴿ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾

[سورة النحل : 103]

الله لا يمكر .

الدكتور بلال :

إذاً مكر الله هو الرد على مكرهم .

الدكتور راتب :

الرد على مكرهم ، تدبير الله لقمع مكرهم ، أو لخلاص المسلم من مكرهم .

الدكتور بلال :

يوجد آية ثانية ؛ يبين الله تعالى طريق الخلاص ، يقول :

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾

[سورة آل عمران : 120]

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

الصبر مع الطاعة طريق النصر والصبر مع المعصية ما بعده إلا القبر :

الدكتور راتب :

نحن الآن دخلنا بالقانون ، أخي الكريم بارك الله بك ، الصبر مع الطاعة طريق النصر ، والصبر مع المعصية ما بعده إلا القبر .

﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾

[سورة الطور : 16]

شخص ارتكب جريمة حكم عليه بالإعدام ، نقول له : أنت إن أردت أن تترجى ، أو تخاف ، أو تبكي ، أو تضحك ، أو تسكت ، الحكم لابد من تطبيقه ، فالإنسان إياه أن يصل مع الله لطريق مسدود .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾

[سورة إبراهيم : 46]

لذلك في بعض الآثار : لا توبة لقاتل ، المسلم يظل معافى ما لم يسفك دماً .

الدكتور بلال :

إذاً سيدي هذا الكيد العظيم الذي يكيدونه حله في كلمتين ؛ الصبر ، والتقوى .

الدكتور راتب :

الشيطان :

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾

[سورة الأعراف : 200]

الله أعطاك أسلحة فتاكة ، أسلحة حاسمة ، لكن لا بد من أن تعتز بالله ، أن تلتجئ إليه ، أن تدعوه .

خاتمة و توديع :

الدكتور بلال :

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبقَ لي في هذا اللقاء الذي طاب بحضوركم ، وسعدنا فيه بكلمات شيخنا الفاضل إلا أن نشكر له ، وأن نشكر لكم حسن المتابعة ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن تكونوا في خير حال ، وأهنأ حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته